الإمام الحسن بن علي والسياسة الأموية
قصصُ الزواج أنموذجاً

صالح الطائي

محافظة واسط

الخلاصة

كانت المناهجُ السياسيةُ في المجتمعِ الإسلامي الأولِ غايةً في التطـــور، وقد تم توظيفُها لتجابهَ المشروعَ الديني. ما يعني أن الحسنَ (ع) لم يتعاملْ مـــع أناسٍ بسطاء؛ بل تعامل مع مناهجَ سياسيةٍ غايةٍ في الدقة.

وحتى قبلَ الصراعِ مع الحسنِ كان السياسيون علـــى اســـتعدادٍ لقلـــبِ المعادلةِ، فيزيدُ الذي تقولُ الرواياتُ انه قادَ جيشا من الشام وتوجه إلى المدينـــةِ؛ عادَ من وادي القرى بعد أن وصلَه خبرُ مقتلِ عثمان، وقال: "لو دخلتُ المدينـــةَ وعثمانُ حيٌّ ما تركتُ بها محتلماً إلا قتلته".

كدَّ السياسيون ليظهروا الحسنَ (ع) بمظهرِ المشغولِ بدنياهُ عن رعيتِـــهِ وآخرتِه، خلافا لما نصَّتْ عليه الرواياتُ الصادقةُ، ينقل حذيفةُ بنُ اليمان عـــن رسولِ الله (ص) قولَه عن الحسن: "وهو ولدي والطاهرُ من نفسي، وضلعٌ مـــن أضلاعي، هذا سبطي وقرةُ عيني بأبي هو" وقولُه للحسن: "أنت تفاحتي وأنـــت حبيبي وبهجةُ قلبي"

وينقلُ الطوسي من كلامٍ للإمام علي (ع) لابنه الحسن: "ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابني، وكأن الموتَ لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمرِ نفسي"

قلبَ السياسيون هذه المعادلةَ بعد أن وظفوا العصبيةَ الجاهليةَ في مشروعِهم، فقال قائلُهم: "إن عليّاً مرَّ على قومٍ قد اجتمعوا على رجلٍ، فقال: منْ هذا؟ قالوا: الحسن. قال: طحنُ إبلٍ لم تُعوَّد طحناً، إنَّ لكلِّ قومٍ صُدّاداً، وإنَّ صُدادنا الحسن" والصدادُ لغةً: دابةٌ صغيرةٌ من جنسِ الجرذانِ، والحيةِ، والوزغِ.

وفي قولٍ آخرُ، أن عليا قال: "وأما الحسنُ بنُ علي فصاحبُ جفنةٍ وخوانٍ؛ فتىً من فتيانِ قريش، لو قد التقت حلقتا البطانِ لم يغنِ في الحرب عنكم شيئاً"وحلقتا البطان لغةً: كنايةٌ عن اشتدادِ الأمرِ.

وقد مورسَ التكتمُ الشديدُ على دورِ العربِ السياسيّ مما أثَّرَ في قراراتِ واستنتاجاتِ مَن جاءَ بعدَهم، حيثُ نجحَ السياسيونَ بنزعِ جلدهِم ولبسوا جلوداً دينيةً أبعدتْ عنهم الشكَّ، ويعني ذلك أن مقدرتَهم السياسيةَ مكنتْهم من تبرئةِ أنفسِهم من كلِّ المصائبِ التاريخيةِ.

إن فسادَ السياساتِ التي رُسِمت على ضوءِ هذه الرؤيةِ هو التعبيرُ المباشرُ عن خللٍ أساسي في بنيةِ السلطةِ الحاكمةِ، وفي طبيعةِ القوى التي تولتْ مقاليدَ أمورِ الأمة. بمعنى أن امتزاجَ فكرِ السلطةِ مع الفكرِ الديني أفسدَ السياسةَ والدينَ كليهما. وقد كُتِبَ لهذه السياسةِ أن تقفَ قبالةَ السياسةِ الدينيةِ التي يمثلها الإمامُ الحسنُ (ع)، فاتخذتْ لنفسها منهجين، الأول: المواجهةُ العسكريةُ، والثاني: سياسةُ الدسِّ والتشهيرِ. ووفقَ هذا المنهجِ بالذات شككوا في مجملِ حياةِ الحسنِ، شككوا في تاريخِ ولادتِه، وأصلِ تسميتِه، وفيما إذا كان النبيُّ قد عقَّ عنه، وفي

صحبتِه، وموقفِه من الفتوحِ، وصحةِ بيعتِه للخلافةِ، وتاريخِ وسببِ موتِه، وأثاروا فتنةَ يوم دفنِه، ثم هدموا قبرَه.

وكلُّ مفردةٍ من هذه المفرداتِ تسببتْ بشرخٍ في الإسلام وأعطتْ لأعدائه فرصةَ الطعن به، وعلى سبيلِ المثال موضوعُ تشكيكهم بطريقةِ استشهادِ الإمام الحسن دفعَ المستشرقَ (لامنس) ليقولَ: "وتوفي الحسنُ في المدينةِ بذات الرئةِ، ولعلَّ إفراطَهُ في الملذاتِ هو الذي عجَّلَ منيتَهُ، وقد بُذلتْ محاولةٌ لإلقاءِ تبعةِ موتِهِ على رأسِ معاويةَ، وكان الغرضُ من هذا الاتهامِ وصْمَ الأمويين بهذا العار، ولم يجرؤ على القولِ بهذا الاتهامِ الشنيعِ جهرةً سوى المؤلفين من الشيعةِ أو أولئكَ الذين كانَ هواهُمُ مع العلويةِ بنوعٍ خاص"

إن شدةَ وخطورةَ المنهجِ السياسي العربي تتضحُ كذلك من خلالِ قصصِهم عن موضوعِ كثرةِ زوجاتِ الحسن (ع) على تفاهتِه وبساطتِه، ومن خلالِ اهتمامِهم تتضحُ صورةُ وحجمُ اهتمامِهم بالأكبرِ منها.

في هذا الموضوعِ أيضا اختاروا شخصياتٍ بعينِها لينسبوا إليها روايةَ أحاديثِ الزواجِ، مثلا أخرج ابنُ سعدٍ عن جعفرِ بن محمد، قال: قال علي: "يا أهلَ الكوفةِ لا تزوجوا الحسنَ فإنهُ رجلٌ مطلاقٌ، فقال رجلٌ من همدان: والله لنُزوجنَّه، فما رضيَ أمسكَ، وما كرهَ طلّق" حيثُ اختيرَ الإمامُ الصادقُ (ع) لينقلَ عن جده الإمامِ علي (ع) أبعادَ هذه الخرافةِ، واختيرتْ قبيلةُ همدانَ التي استعانَ بها الحسنُ (ع) بعدَ أن طعنَه الخارجي في المدائنِ لتكونَ عنصرَ المفاجأةِ في النص.!